بـــانـــتـــظـــار أيلـــول

عباس الياسري
محلل سياسي

دخل شهر ايلول الموسوعة الفكرية العربية وخاصة بعد احداث الحادي عشر من أيلول ، ولا تحتفظ الذاكرة الجمعية العربية بذكرى حدثت في هذا الشهر سوى ما اطلق عليه يومها (ايلول الاسود) والتي سرعان ما نسيت في خضم الايام والاشهر السود التي عصفت بالمنطقة ، لذلك جاءت احداث أيلول لتكون متنفساً وهروباً من الاحتفالات التموزية الروتينية وهو الشهر المفضل للانقلابات العسكرية ، وفي هذا السياق حددت الادارة الامريكية منتصف شهر أيلول كموعد لتقديم تقرير كروكر بترايوس.

ولا يعرف هل هي مصادفة، أو لغاية في نفس الادارة، ان تكون المواعيد قاسمها المشترك شهر ايلول، وما بين الانتظار السلبي والايجابي لهذا الموعد، نرى ان فلسفة الانتظار لدينا لها مفهوم خاص يتسم دائما بالسلبية، وعليه ربما تصح مقولة، ان الغرب يعرفنا كيف نفكر ولكن نحن لا نعرف كيف يفكر الغرب، وقديماً قالت العرب، " يشير الجاهل باصبعه الى القمر لكنه لا يرى إلا اصبعه؟."

ولو عدنا بالذاكرة الى الوراء قليلاً نرى أن العنوان الابرز للمشهد السياسي والعسكري في المنطقة، هو ربيعان لا ثالث لهما، وقتها انتظر الجميع معارك طالبان الربيعية والتي توعدوا فيها القوات الدولية بمعركة فاصلة حال ذوبان الثلوج ونزول (المجاهدين) من الكهوف من جانبه اخذ حلف الناتو التهديد بجدية ولم ينتظر الربيع ليشاهد الجنود ذوبان الثلوج والاستمتاع بالشمس الدافئة، بل اخذوا يخططون لربيعهم الخاص، وضغطوا على اعضاء حلف الناتو من اجل زيادة عدد القوات هناك وتم محاصرة الدول الداعمة للارهاب ومن هذه الدول باكستان، لتكون اكثر جدية في شراكتها في محاربة الارهاب، وان توقف ايواء ودعم قيادات القاعدة وطالبان على أراضيها وكذلك ان تكون اكثر حزماً مع مناطق القبائل والتي تعتبر الحاضنة الرئيسية للارهاب.

وقتها جاء التحرك سريعاً من قبل حكومة مشرف، والذي تم فيه القبض على الناطق بأسم الملا عمر، وقتل وزير الدفاع طالبان (بعد لقاء خاص مع قناة الجزيرة) وكذلك تم قتل العديد من قيادات ومقاتلي القاعدة هناك وفي افغانستان، ومضى الربيع ولم تستطيع قوات طالبان ان تفعل أكثر مما تفعله خطف الاجانب والمساومة عليهم او قتلهم، وآخرهم الكوريين، وتفجير الناس في الشوارع والاسواق وزيادة مبيعات الحشيشة.

صاحب هذا التطور زيادة في عدد القوات الامريكية مع انطلاق الستراتيجة الامريكية الجديدة بما فيها في العراق، والتي لاقت تأييداً عربياً كبيراً لا سيما من دول الخليج والسعودية خاصة.

واستمر تدفق حاملة الطائرات والبوارج الى مياه الخليج الدافئة، قابله انتظار وتوجس من جانب ايران، وحذر من ان تكون هذه مقدمات لضربة عسكرية ضدها، هذه الضربة التي ما زال تأكيدها ونفيها يتأرجح ما بين غيتس ورايس، وايران، تنتظر المجهول.

هذه مقدمات وشواهد بسيطة لقراءة انتظار الجميع في العراق والمنطقة للموعد الذي سيقدم فيه التقرير، وقد لا نكون مغالين حينما نقول ان القوى السياسية في العراق تمارس الانتظار السلبي سواء الداخل منها في العملية الساسية او الذي خارجها والذي تحول من انتظار للتقرير، وكيفية التعامل مع نتائجه، اخذ الجميع ينتظر الشهر كموعد زماني وليس كتقرير يقيم الاوضاع بشكل عام في العراق، ومع الاسف، سرح خيال البعض ليبني آمالاً عريضة ليجعله موعداً نهائياً لالغاء العملية السياسية، وتغيير الحكومة والعودة الى المربع الاول وتشكيل حكومة انقاذ، وهذا ما دفع البعض للانسحاب من الحكومة وآخرين انسحبوا، واستعانوا بشركة باربور غريفث اندروجرس للعلاقات العامة، والمقربة من البيت الابيض والجمهوريين، وذلك من اجل القيام بحملة واسعة لتقويض حكومة المالكي، والترويج لغيره في الاوساط الامريكية مقابل مبالغ مالية طائلة، وزادت حمى الضغوط على الحكومة وافتعال الازمات كلما اقترب الموعد وباتجاهات متعددة، واغربها الطلب من مجلس انقاذ الانبار ومؤتمر الصحوة سحب الدعم من الحكومة قبل موعد تقديم التقرير واعلان هيئة علماء السنة قبولها التفاوض مع الادارة الامريكية، شرط أن تعتمد على أصدقائها والذين لا نعرفهم، وفي الجانب الاخر وهو التحرك الايجابي، لم تر تحركاً حتى الآن ولو في محاولة الدفع باتجاه أن يكون التقرير لصالح العملية السياسية ودعم الديمقراطية الوليدة في العراق وإسماع الاخرين صوت القوى الداعمة للعملية السياسية، باستثناء التحالف الكردستاني حيث من المؤمل ان يرسل وفداً حكومياً ونيابياً الى واشنطن، للعمل بجدية وإيجابية قبل موعد التقرير، والذي تسربت بعض فقراته الى العالم، وما تسرب حتى الان لا يوحي بأن هناك نية لكل ما يدور بقول المتربعين.

ترى ماذا يفعل الذين انتظروا وتحركوا بسلبية، ولم يبق على تقديم التقرير سوى أيام معدودات، وكل المؤشرات تدل ان الرياح ستأتي بعكس ما تشتهي انفسهم!.

ما يؤسفنا، ان هناك حراكاً سياسياً في واشنطن، استعداداً لهذا الموعد ومنذ مدة، فجامعة هارفرد الامريكية، أظهرت نتائج دراسة حديثة اجرتها، تقول : ان الشباب الامريكان غير مهتمين بالحرب في العراق، والرئيس بوش لا يفوت فرصة لشرح وجهة نظره، وهي ان الفشل في العراق يعني انتصار الارهاب،والكونكرس يتابع خطوات الرئيس ويقوم بخطوات في أغلبها مضادة، ولكنه في النتيجة يضع المصلحة القومية اولاً وفي اعقاب المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس بوش في اوائل شهر تموز الماضي لعرض تقرير ميداني حول وضع القوات الامريكية في العراق، قام الكونغرس بدعوه العديد من خبراء السياسة الخارجية، لتقديم شهاداتهم حول الاوضاع في العراق أمام لجنة الشؤون الخارجية، وذلك لوضع أعضاء اللجنة في الصورة، استعداداً لتقارير بتريوس، ومنهم جيسكا ماثيوس رئيسة معهد كارنيجي، مايكل روبن الباحث في معهد امريكان انتربرايز، وكذلك الكولونيل المتقاعد باول هيوز وهو احد خبراء المعهد الامريكي للسلام.

ترى، كم جلسة استماع عقد مجلس النواب العراقي استعداداً للتقرير ، وكم شهادة اصغى اليها، وكم دراسة او بحث، تمت قراءته من قبل الكيانات السياسية وأي مراكز بحوث عراقية تحركت في هذا الاتجاه، ولم يبق وقت للتحرك الايجابي، وعلينا ادراك الوقت للتعامل بايجابية مع نتائج التقرير، من أجل بناء عراق ديموقراطي فيدرالي، ولا يتحول هذا الانتظار، الى موعد حينما نتجاوزه نعود لاجترار قطراته، وبانتظار موعد آخر، ربما لا يكون سبتمبر من جديد.

دور القدرات العقلية في العملية التربوية

د. رضا الموسوي
اكـــاديمـــي

ان القدرات العقلية تمكننا من التنبؤ بنجاح المتعلمين في المؤسسات التعليمية والتبؤهومستوى من الدقة التي يمكن ان نقدر بها الدرجة على أداء الفرد في محك ما؛ اماعلى مستوى الدراسات الجامعية فقد خلص هويت(Hoyt (1971 الى ان التنبؤ بمستوى التحصيل الأكاديمي كان اكثر موضوعات التعليم العالي بحثا في أميركا حيث بدأت قبل (١٩٢٠) وخلاصة الدراسة تشير إلى أنواع مختلفة من التنبؤات غير التحصيل في الثانوية،الرتبة في الصف والرتبة في الثانوية وقياس الاستعداد الأكاديمي.

وتقع وظيفة معرفة القدرات العقلية Mental Abilities على المربين والقائمين على العملية التعليمية فهي تزودنا بالبعد الذي يشخص النشاط العقلي المميز للافراد الاسوياء عن غير الاسوياء وفق معايير تاخذ في حسبانها بعض المتغيرات البيئية والوراثية كالجنس والعمر والمستوى العلمي والاقتصادي ويفيد هذا التشخيص المهتمين والمتخصصين في انشطة التخطيط التربوي والتعليمي وبشكل خاص عند قيامهم باعداد مناهج خاصة للأفراد أو الطلبة الذين يعانون من خللاً في قدراتهم العقلية؛ فقياس القدرات العقلية كما يراه بركات من الامور التي يجب ان يسلم بها كل معلم اذا ما صارت برنامجا ياخذ بنظره الاختبارات التحصيلة ان تنمية بعض القدرات العقلية لدى المتعلمين ودراسة القدرات العقلية تعد مهمة جدا في مجريات العملية التعليميةاذا ما حاولنا الربط بين الاهدف التربوية والعمليات العقلية للمتعلمين

فالدراسات المتعددة في هذا المجال و التي تمت على ايدي مجموعة من المدرسين والمشرفين توصلت الى ان مجموعة من الاطفال تخلفت في التحصيل الدراسي وسرعة اكتساب المهارات واصبحوا عاجزين عن مسايرة المجموعات الاخريلذا بات من المفيد التفكير جديا في وضع طريقة علمية موضوعية لكي الفصل بينهم.

ان القدرات العقلية(الذكاء والتحصيل الدراسي) يعدان من المسلمات التي يجب الايمان بهابحيث صار بعض العلماء يعرفون الذكاء بأنه القدرة على التحصيل أو التعلم فقد عرفوا الذكاء بأنه القدرة على الاجتياز في التحصيل)(Passow اي القدرة على النجاح في المدرسة أو الكلية.

لقد أجريت دراسات متعددة كان الهدف منها تحديد إسهام القدرات العقلية في درجات الامتحانات في مختلف المراحل وحتى على مستوى الدراسات العليا فقد توصلت هذهالدراسات إلى ان بعض لقدرات العقلية تسهم وبصورة واضحة في درجات الامتحانية لطلبة الدراسات العليا في بعض كليات الجامعات العراقية وهي القدرات الاستدلالية واللغوية والعددية.

وتعد دراسة إسهامات القدرات وتحديد قدراتها التنبؤية في النجاح دراسة صدق تنبئي للاختبارات التحصيلية المدرسية ولاسيما الاختبارات التحصيلية من إعداد المعلم(Teacher Made Tests)التي تفتقر إلى الصدق والثبات ومن خلالها الى الموضوعية ولهذه الميزة أسباب منها:

١, ضعف قدرة المعلم في إعداد اختبارات تحصيلية في ضوء تخطيط لها.

٢, نظرا لممارسة عملية التعليم قد يجد الوقت أو الاهتمام في تحديد مؤشرات أو صفات الاختبار الجيد.

٣, عدم مطالبة الإدارة التعليمية من ذلك.

ان القدرات العقلية Mental Ability تعرّف بانها تحصيل أداء الفرد الحقيقي في الوقت الحاضروما يستطيع أداءه في اللحظة الحالية سواء كان نتيجة التدريب او من دون التدريب او كما يعرفه العيسوي بانه قدرة الفرد على أداء عمل مادون الحاجة إلى التدريب.

فمفهوم القدرة Ability كما يعرفه فرنون((Vernon وجود مجموعة من أساليب الأداء ترتبط بها ارتباطا منخفضا(أبو حطب وعثمان:١٨)ويعرف راجح (١٩٧٧) القدرة بأنها ما يستطيع الفرد أداءه في اللحظة الراهنة من أعمال عقلية او مركبة وقد توجد القدرة لدى الفرد بتدريب أو بدون تدريب ويرى بنجهام (Pingham)ان القدرة هى الأداء سواء كان بحركات متناسقة معقدة أو بنشاط عقلي رمزي اوباي نوع أخر من السلوك؛وتظهر القدرة بمقدار صعوبة أو تعقيد المهمات التي يستطيع ان يؤديها وفي مستوى معين من الصعوبة وفي سرعة أدائه ودقته

اثر الوراثة والبيئة في القدرات العقلية:

لقد خلص جالتون(Galton)ومن خلال ابحاثه المستمرة في هذا المجال الى وضع أربع استمارات تحدد الأثر النسبي لهذين العاملين وهي:

١, التشابه العقلي القائم بين الأفراد في بدء حياتهم واستمراره في المراحل التابعة حتى الرشد يؤكد اثر الوراثة اكثر مما يؤكد اثر البيئة.

٢, التشابه العقلي القائم بين الأفراد في بدء حياتهم واختفاؤه في المراحل التالية حتى الرشد يؤكد اثر البيئة.

٣, الاختلاف العقلي القائم بين الأفراد في بدء حياتهم تم اقتراب لكل الصفات بعد ذلك حتى الرشد يؤكد اثر البيئة.

٤, الاختلاف العقلي القائم بين الأفراد في بدء حياتهم واستمرار الاختلاف حتى الرشد يؤكد اثر الوراثة.

فالوراثة وكما يرى(ابو حطب) يظهر تأثيرها في لقدرات المكانية واللفظية والذاكرة ويضعف أثرها في العددية والاستدلالية وبنفس الاتجاه وفي دراسة أخرى أجريت التوائم المتطابقة والآخر به وجد أن الوراثة لها اثر على القدرة اللفظية والاستدلالية اكثر من القدرات العقلية والمكانية.

تمايز القدرات العقلية :

التمايزكما هو: ملاحظة التباين بين الفرد ونفسه في أنواع معينة من أساليب النشاط العقلي في مراحل نموه المختلفة وبالنسبة لأقرانه المتحدين معه في العمر الزمني من ناحية أخرى اي ان الأفراد متسقين في نمو قدراتهم العقلية حتى سن الثانية عشر ويختلف النمو في قدراتهم العقلية بعد هذا العمر. (صالح)

والقدرة العددية Numerical يمكن تعريفها بانها نشاط عقلي وتمتاز السرعة ودقة إجراءات العمليات الحسابية الرئيسية البسيطة اذ تشمل؛العامل الحسابي اي القدرة على استنتاج الحسابي لمسائل عددية بسيطةوعامل الجبروهو القدرة على استخدام أو تعويض الرموز بدل الأرقام واكتشاف الرموز المقابلة لهاوكذلك عامل الهندسةالذي يعني القدرة على إدراك العلاقات المختلفة بين الأشكال وحركاتها والمجسمات.

أ-القدرة الاستدلالية :

تعرّف القدرة الاستدلالية على انها نشاط عقلي يتطلب اكتشاف القاعدة التي تربط بين مجموعة من العناصر قد تكون في صورة أرقام أو حروف تعتمد على عامل الاستنباط الذي يعد نوع من القدرة على استنباط الأجزاء من القاعدة من خلال التعرف على الاستنتاجات الصحيحة في نص أو في الأشكال التي ترتبط بقاعدةوعامل لاستقراءاي القدرة على استنتاج القاعدة أو جهد عام من الجزئيات والحالات الفردية من خلال التعرف على سلسلة معينة من الحروف أو الأرقام أو الأشكال التي ترتبط بقاعدة.

ت؟. عامل فهم العلاقات:وهو القدرة على التعرف على القاعدة التي تربط بين شيئين أو فكرتين واستخدام هذه العلاقات لأي أفكار أخرى.

ب-القدرة المكانية

اما القدرة المكانية: sptial ability فهي النشاط العقلي المعرفي يتميز بالتصور البصري بحركة الأشكال المنظمة والمجسمةوالتي تعتمد على عاملين مهمين هما ؛عامل التصور المكاني اي القدرة على تناول دوران وتحويل مثير مقدم على شكل صورة وعامل التوجيه المكاني:هو القدرة على إدراك وتركيب العناصر ضمن مثير او نموذج مرئي والقدرة على الحكم مهما تغيرت الهيئة المكانية للمثير.

سامي زبون.. الشاب الضاحك الذي افترسه الأخ الأكبر

فيصل عبد الحسن
كاتب وصحفي- المغرب

قبل أيام قليلة قرأت في شبكة الإنترنت قائمة أعدها الناقد العراقي ياسين النصير لكتاب وفنانين عراقيين اعدموا في عهد صدام حسين وكان بين أولئك المعدومين كاتب مسرحي من أصدقاء طفولتي وشبابي حين كنا نعيش في البصرة جنوب العراق : أنه الفنان سامي زبون، وكانت قد انقطعت عني أخباره منذ كنت في العراق وقد انتقلنا للعيش في بغداد في التسعينيات وقد ظننت وقتها انه أنقطع عن الإخراج المسرحي والتمثيل والكتابة وصار مقاولا في البناء أو سافر إلى الخارج وصار مجرد دون جوان في أحدى الدول الأوروبية وحقق ذاته مما كان ينقصه في بلاده، وتحقيق الذات في أوروبا له وجوه كثيرة وأحدها غلق باب الشقة والنوم حتى الضحى، والسكر حتى الثمالة مساء، والكتابة غير المنتجة الغائصة في هموم الذات ولوك آلام الماضي من خلال جهاز الهاتف أو الرسائل التي يدبجها ويرسلها لهذا وذاك من الناس منتظرا أن يهتم به من أرسل له ويجيبه بالسرعة نفسها، كما لو كان الجميع مثله يعيشون على نفقة صندوق المنحة التي تصرف للعاطلين في أوروبا وأن خبزهم سهل، وشربهم سهل، وكرامتهم غير محفوظة ككرامته ولديهم الوقت الفائض ليجيبوا على رسائل حضرته بالسرعة المطلوبة، ويبدو انه لم يكن من أولئك بل قضى هذا الفنان المجد، الحقيقي، الصادق مع نفسه كل هذه السنوات العديدة منذ فارقته مع أهله في البصرة، مجرد فكرة طيبة عن الحرية والانعتاق عن عبودية السلطة في وطننا العربي ورموزها ومتطلباتها التي لا تنتهي من الفنانين والكتاب في محاولة دءوبة لتتفيههم وجعلهم أرقاما في سجلاتها . قضى هذا الكاتب الفنان تلك السنوات في مقبرة صغيرة، وقد كان صادقا وأمينا مع نفسه وفنه، وغيره ممن بقوا أحياء كانوا يعيشون فوق أرض المقبرة وكانوا يحسدونه على مكانه الكريم، وراحته الأبدية، ودوره الذي مثله بجدارة قبل أن يغادر. لم يكن في القائمة وحده ممن أعرفهم بل كنت أعرف أغلب من أعدموا معرفة شخصية، ولي مع كل واحد منهم ذكريات وذكريات، ولكنه الوحيد الذي عرفت بإعدامه من خلال هذه القائمة السوداء .

أتذكر أن أجمل بنات حي الأصمعي الذي كنا نسكنه معا في مدينة البصرة كانت تذوب عشقا بهذا الفنان، كان وسيما، مهذبا، سريع النكتة، عندما كان يمثل مرة على خشبة المسرح دور عطيل، وكان فاتح السمرة مما أضطر المخرج أن يطلب منه وضع الصبغ الأسود فرفض عارضا على المخرج أنه سيخلق عند الجمهور الانطباع بأنه أسود وفعلا استطاع أن يخلق ذلك الانطباع ولن أنسى بياض عينيه وهو يخنق ديدمونة بطلة المسرحية بعد أن زرع أياغو في قلبه الشك، سامي زبون الذي كان يكتب لنا المسرحيات الشعبية لنمثلها على مسرح المدرسة والذي شارك بإخراج أول مسرحية كتبتها للمسرح باللهجة الدارجة: أطرش بالزفة! في السبعينيات، الذي كان يفتح غرفته الطويلة والعريضة كمضيفة لأصدقائه من كل أنحاء العراق وكانت نقاشاتنا حول ماركوزة وأفكاره حول الثورة والثورة المضادة والوجود والعدم لجان بول سارتر ومسرحياته التي لا تنسى : الأيدي القذرة و الجدار..نقاشات تطول وتطول و تستمر مرات كثيرة حتى آخر الليل فيهلكنا التعب والكسل فنقضي ليلنا نائمين في غرفته بعد أن يزود كل واحد منا ببطانية ومخدة ويطلب ممن يقرر الذهاب إلى المنزل أن يغلق باب الدار وراءه ويقول متثائبا تصبحون على خير.

وعندما يصبح الصباح تهل علينا أمه الجنوبية المنقبة بالسواد حاملة لنا فطور الصباح، البيض المقلي وقيمر العرب(القيمر البلدي) وخبز التنور؛الوحيد الذي كان يرفض الفطور هو أبنها ..الذي يصرخ بوجوهنا مجانين أنتم تستيقظون صباح الجمعة بهذا الوقت المبكر !! فيفطر كل واحد منا ويغادر إلى مبتغاه وحين يقلق الأهل على غياب أحدنا يسألون أهل سامي زبون ليعرفوا أسباب غياب أبنهم ! لا أتذكر أن سامي زبون قد تكلم في السياسة يوما أو طلب من احد أن ينتمي إلى هذا الحزب أو ذاك، وكان حين يسمع نقاش متخاصمين حول السياسة أو الأفكار السياسية يضحك، ويحرك أصابعه بسرية للباقين مشيرا إلى جنون المتحاورين وقلة عقلهما، موضحا أنه يرحب بحوار مع الحبيبة حول أدوات الماكياج حتى الصباح بدلا من حوار في السياسة بين متخاصمين جائعين من أمثالنا.. فهل كان سامي زبون ضحية فرية وتقرير كاذب إلى السلطات؟ أم كان مجرد شهيد لما آمن به من أفكار حول حرية الإنسان وضرورة عدم خضوعه لأية سلطة غاشمة؟! هل كان ضحية الوجود والعدم الذي تخلى عنه سارتر فيما بعد؟ أم ضحية صاحب الثورة الفوضوية ماركوزة؟ أو ضحية أفكار روجيه غارودي و واقعيته التي بلا ضفاف؟! أو ضحية أفكار لينين وماركس وأنجلز وثورة البرولتاريا التي تخلى عنها فيما بعد الجميع؟! هل هو ضحية نظام صدام حسين الذي كان يريد أن يصير جميع العراقيين والعرب سواسية في أفكارهم كأسنان المشط ليبقى هو وعشيرته في السلطة لأطول وقت ممكن فضيع السلطة والعراق وخلخل أمن الوطن العربي ولم تفد دماء سامي زبون المسكوبة جزافا في حفظ حياته والوطن من الاحتلال وكم يوما أضاف إعدامه لسني حكم النظام السابق للعراق؟!! ما كنت اعلم أن بعد كل هذه السنوات سأذكر سامي زبون أبن البصرة ذلك الشاب الضاحك الذي أفترسه الأخ الأكبر (الأخ الأكبر النظام الدكتاتوري حسب رواية جورج أورول ١٩٨٤)، صاحب أجمل ابتسامة وعاشق أجمل فتاة في حينا، الذي يكتب لها رسائله بماء الورد المخلوط بالمداد، التي رفضت من أجله أغنياء كويتيين كانوا يحطون في مدينتنا كل خميس ليخطفوا هذه الجميلة أو تلك بأموال النفط وبوثائق زواج ممهورة بالقهر والفقر وقلة الحيلة.

ليس لي إلا أن أكتب بمداد قلبي ما رأيت وما انتابتني من أفكار وما شعرت به من هواجس وسط العتمة والتاريخ والوجوه المأزومة وأنا اقرأ ذلك البيان الناقص الذي لم يذكر سبب كل ذلك النزف ولماذا قتل الأخ الأكبر كل أولئك الأحبة من الكتاب والفنانين؟!.. وما يحدث اليوم في العراق من قتل متعمد أيضا لكتابه وفنانيه وصحفييه وعلمائه تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها المسؤولية الجنائية والأخلاقية لقتلهم ويحملهم المجتمع الدولي وفق قرارات الأمم المتحدة كل المسؤولية القانونية والأخلاقية لحفظ الأمن وحماية المواطنين العراقيين، ويبدو أن ما يحصل اليوم لكتابه وفنانيه هي حلقة من حلقات سابقة عاناها منها هذا الشعب الخلاق، وعانتها مواهب هذا الشعب العظيم، ولكن الأم العراقية العظيمة، الولادة ستبقى تنجب أمثال سامي زبون، وسامي غياض، وحسن مطلك، وخليل داخل نجم، وحاكم محمد حسين، وضرغام هاشم وعشرات من الكتاب والفنانين المبدعين الذين قضوا شهداء في وطن الأحرار، على أرض الرافدين ومن صميم شعبها الشجاع...

أسوق هذه الكلمات الممهورة بالحزن العراقي القديم لأتحدث عن مأساة في غاية القدم؛ وهي ماذا يحدث للكاتب حين يقف بوجه الحاكم الظالم! ببساطة يعمد الحاكم الظالم إلى محو الجزء الحي من الكاتب، الذي نراه يتحرك ويأكل ويشرب وينام ويتألم ويتحدث، لكن هذا المحو الشكلي . البدني . للكاتب يتيح له أن يوجد في أذهان الناس كفكرة عظيمة محركة، ونامية، وكلما أوغلت جريمة قتل الكاتب في الزمن، واعتقد القاتل أن الموضوع نسي إلى الأبد، انتشر خبره! وازداد عدد رواته! وقوي تأثيره، وصار سبباً في نهاية الظالم ونموذجه!! فقتل الكاتب سيكون خدمة جليلة يقدمها الظالم لفكرة وجود الكاتب الأزلي، فالإنسان مهما طال عمره فهو مشروع موت واندثار تام إلا الكاتب الشهيد، والثائر الشهيد، الذي هو بشكل ما يسجل باستشهاده كتاباً دائماً تتلو خبره الأجيال، فهو كاتب أيضاً سجل بدمه أسمى الكلمات وأنقاها وأكثرها فهماً من الناس وشوقاً لتعليمها للقادمين من أبناء حواء وآدم!!.

مـــدن لا تعـــرف الـــشـــيـــخـــوخـــة

بقلم : د. عبدالله المدني
اكـــاديمـــي - الـبـحـــريـــن

يقال أن المدن مثل البشر ، تكبر وتتقدم في السن وتتبدل معالمها وتتغير خرائط وجوهها ، وقد تفنى وتزول نهائيا أو تتحول إلى جثة هامدة تئن من الفوضى والازدحام وسوء التخطيط وعجز الخدمات وتهالك المنشات وفساد الهواء ، على نحو ما حدث لمدن عربية وشرقية كبيرة من تلك التي كانت ذات يوم ملء السمع والأبصار ومصدر الإلهام والإبداع ومقصد الرحالة والوجهاء بسبب أسبقيتها إلى التمدن والتحضر والتنمية والتخطيط العمراني وعصرنة الخدمات وتوفير وسائل الراحة والترفيه ونشر ثقافة النظام والانضباط ، فتحولت تدريجيا تحت ضغط الهجرات من الأرياف وتخبط التعليم وسوء الإدارة وانتشار الفساد وسيادة النزعات التقليدية والأفكار البالية إلى مجتمعات موبوءة بألف داء وداء.

غير أن مدنا كثيرة أثبتت أنها قادرة دوما على تجديد شبابها ونضارتها من وقت إلى آخر، بفعل ديناميكية مجتمعاتها وخطط حكوماتها المحلية أو المركزية المحكمة واستيعابها السريع لكل جديد ومثير وحديث في عالم التخطيط والتعمير والهندسة والخدمات. بل أنها أخرجت من رحمها مدنا وحواضر جديدة لا تقل روعة وجمالا وصحة عنها. مثل هذه المدن يمكن العثور عليها بسهولة في الشرق الأقصى، حيث الحياة تتبدل وتتطور كل يوم مع تطور وديناميكية المشهد السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، ومعها تتجدد معالم المدن وتتوسع الحواضر وتقام المنشآت الحديثة وتتشكل مجتمعات حضرية جديدة على أنقاض مجتمعات ريفية بائسة أو فوق أراض قاحلة مهجورة.

ومناسبة هذا الحديث هي بحث شيق وغني بالمعلومات والتجارب نشره قبل فترة أحد الزملاء الآسيويين، وتناول فيه بحكم تخصصه الأكاديمي في التنمية الحضرية واهتماماته بالتخطيط والفنون المعمارية قصة عدد من المدن الكبيرة المعروفة في الشرق الأقصى إضافة إلى عدد من المدن والمستوطنات الجديدة الآخذه في التمدد والنمو، ولاسيما في الصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وماليزيا.

وبحسب الباحث فان أكثر ما يشد الأنظار اليوم في تلك البلدان هو خطط التنمية الحضرية وما يرافقها من أعمال الإنشاءات الضخمة لاستبدال القديم والرث بالحديث والمتطور أو لإقامة الجديد غير المسبوق أو لإيجاد الحلول السريعة للاختناقات والضغوط الخدمية والبيئية. ويضيف قائلا أن هذه العملية لئن كان عمادها الأفكار والرؤى الذاتية والمنطلقات المحلية فإنها أيضا نتاج تواصل وتبادل للتجارب والأفكار والفنون مع الآخر، ولاسيما في المجتمعات الغربية الأسبق إلى هذه الأمور والأكثر تقدما في تلك المجالات. بل هي في المحصلة النهائية احد ظواهر العولمة التي فتحت الأبواب على مصراعيها للاستفادة والتسابق والتنافس في كل الميادين، بحيث صار المخطط أو المهندس المعماري الصيني مثلا ملما بتفاصيل ما سبقه إليه زميله الغربي إلماما يتيح له تصميم ناطحة سحاب خلال ثلاثة أو أربعة أيام. وغني عن القول أن ظاهرة العولمة وتسارعها منذ تسعينات القرن الماضي، صحبتها تطورات ساعدت الآسيويين على مثل هذه الأمور مثل الإعلام الجماهيري الالكتروني وصناعة الاتصالات والمعلوماتية. هذا فضلا عن البيئة المهيئة، وهي بيئة تتميز بشحذ الأفكار من أي مصدر دون حساسية أو توجس أو كراهية، ويسودها الاقتصاد الحر ومبدأ المنافسة، ويسعى أفرادها وجماعاتها إلى كسب أو تعزيز مكاسبهم لجهة الحريات والحقوق والدمقرطة

والحقيقة هي أن أكثر من ربع سكان العالم يتسابقون اليوم ليكونوا من سكان حواضر حديثة وراقية مع مستويات دخول تؤهلهم ليكونوا ضمن الطبقة الوسطى. ومن المتوقع أن تشهد السنوات القليلة القادمة تحول المزيد من هؤلاء، ولا سيما في آسيا، إلى العيش في المدن الكبيرة أو الحواضر الجديدة بحيث لا ينتصف القرن الحالي إلا ونحو ٦٠ بالمئة من سكان العالم يعيشون في المدن. ومن الحقائق الدالة على هذه الظاهرة أنه من بين ٢٣ مدينة ضخمة في العالم من تلك التي يزيد عدد سكانها على ١٥ مليون نسمة، يوجد ١٥ منها اليوم في آسيا. ومن الحقائق الأخرى أن المدن التي تشكلت أو تتشكل حاليا حول الممر السريع الموصل ما بين طوكيو واوساكا اليابانيتين ينتظر لها أن تستوعب أكثر من ٥٠ مليون نسمة من سكان هذه البلاد، أي اقل بقليل من نصف عددهم الإجمالي.

وبما أن للظواهر إيجابياتها وسلبياتها، فان ظاهرة تمدد المدن القائمة وتحديثها وتطوير معالمها، أو ظاهرة نشؤ مدن وحواضر عصرية جديدة، في آسيا تحمل معها بعض التحديات التي يأتي على رأسها تدمير البيئة. وهذه مشكلة خطيرة ذات كلفة عالية، خاصة إذا ما علمنا أن آسيا فقدت خلال السنوات الثلاثين الماضية أكثر من نصف غاباتها ومساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، ليس فقط بسبب تمدد المدن وسياسات التنمية الحضرية، وإنما أيضا بسبب النمو الصناعي.

ولهذا السبب لم يكن غريبا أن يتبنى بعض المعنيين بأمور تخطيط المدن ومعهم الجماعات المنافحة عن البيئة في الشرق الأقصى فكرة العودة إلى مبدأ "فينغ شوي"، خاصة وأن إيجاد علاقة متناغمة ما بين الإنسان والطبيعة ظلت على الدوام جزءا من التقاليد والثقافة الآسيوية. والترجمة الحرفية لهذا المبدأ هي "الهواء والماء" في حين المعنى المقصود هو عدم التلاعب بهذين العنصرين في سعي الإنسان إلى التحديث والتطوير والبناء والتقدم. ويسعى متبنو هذه الفكرة إلى بناء ثقافة عمرانية وتخطيطية جديدة ترفد ما يسمونه ب "المدن الآسيوية" أي مدن وحواضر لها سمات ومعالم وظروف خاصة تميزها عن بقية المدن في العالم.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل توجد مثل هذه المدن أو هل يمكن خلقها في ضوء التفاوت الكبير ما بين الدول الآسيوية نفسها لجهة السمات الجغرافية والطبيعية والسكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل في ضؤ اختلاف الآسيويين على هوية جماعية موحدة؟ الجواب يمكن استنباطه من ردود أفعال فعاليات اقتصادية وثقافية آسيوية كثيرة من تلك التي رأت في هذه الأفكار محاولة للعودة إلى الوراء وإعاقة مسيرة النهضة والتقدم والحداثة الجارية، وإن اتفقوا على ضرورة إيجاد حلول واقعية ومرنة للمحافظة على البيئة الخضراء، وأخرى لمواجهة أهم المشكلات الناجمة عن النمو الاقتصادي الهائل، ألا وهي الازدحام المروري في المدن الكبيرة، والذي يتسبب في مشاكل واضطرابات نفسية تحول دون التفكير والإنتاج كما يجب، ويعطل المصالح، ويحد من التواصل والاستمتاع بأوقات الفراغ. ويكفي أن نعلم على سبيل المثال اللاحصري أن سرعة المركبات في مدن آسيوية عديدة انخفضت لتصبح مساوية لسرعة سير الأفراد كما في بانكوك أو شنغهاي، بل حتى في ما يعرف بالمناطق الاقتصادية الخاصة في الصين مثل "شينزين".